بين يدى هذا الباب للمحقق

السرارى والإماء

قد تتراءى لعيوننا أكثر من علامات استفهام حول السرارى والإماء ! .

وربما يقول قائل : أليس فى تعدد الزوجات ما فيه الكفاية ؟ .

ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه « المرأة فى القرآن » :

« لقد شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، فلم يكن للعتق أثر فى شرائع الحضارات التى سبقت ظهور الإسلام .

أما الرق فقد كان معروفا معترفا به فى كل حضارة قديمة .

فلما ظهر الإسلام جاء بالعتق ولم يجىء بالرق وسبق التطور الدولى إلى تقرير فك الأسرى عند الأعداء ، وتقرير المن بتسريح الأسرى عنده .

والنساء المملوكات أقدم فى التاريخ من الرجال المملوكين . وتعتبر قضية الإماء والسرارى جزءاً من قضية الرق على عمومه لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد بمشكلاتها .. فإن كان العتق برا كبيرا بالإنسان الذى سلبت حريته وهانت على الناس كرامته فإن العتق لا يؤول بالجارية إلى حرية تغبط عليها ، وهى بلا عائل ولا زوج وربما نقلها العتق من العبودية لسيد واحد إلى العبودية لكل سيد تأوى إليه .

وقد نظرت شريعة الإسلام إلى الفارق بين الرجل والمرأة فى أمر العتق ، فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية ، وأمرت المسلمين بتزويجهن والبر بهن :

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [سورة النور : ٣٢] .

﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ [٣ : سورة النساء] .

وفضلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج بسليلة البيوت من المشركات ولو حسن مرآها فى العين :

﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ .

[٢٢١ : سورة البقرة]

وفرضت لهن حقوقا كما فرضت للأزواج :

﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم ﴾ .

[سورة الأحزاب : ٥٠]

وجعلت أصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من رزق الله :

﴿ فما الذين فضلوا برادّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ﴾ .

[سورة النحل : ٧١]

وحرص الإسلام على البر بهن فى عواطفهن وإحساسهن كما حرص على البر بهن فى أرزاقهن ومعيشتهن ، فكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلم أن يقول : « عبدى وأمتى » وإنما يقول : « فتاى وفتاتى » كما يتحدث عن أبنائه .

وكانت وصيته بالصلاة والرقيق من آخر وصاياه ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وارتفع الإسلام بأتباعه إلى منزلة من الإنصاف للرقيق والرفق به لم تبلغها الإنسانية بآدابها وقوانينها ودساتيرها وأنظمتها بعد أكثر من ألف سنة .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن ارتفاع المهانة عن المماليك فى العالم الإسلامى مكنهم غير مرة من إقامة الدول وارتقاء المناصب وولاية الوزارة والقيادة ، ومصاهرة البيوتات من أصحاب الملك والإمارة .

وإليك ما جاء فى العقد الفريد عن السرارى والإماء :

المنجبات من النساء :

أنجب النساء

● قالوا : أنجب النساء الفَرُوك (١) ؛ وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق ، لزهدها فى الرجل .

● أبو حاتم عن الأصمعى قال : النجيبة التى تنزع بالولد إلى أكرم العِرقين .

● وقال عمر بن الخطاب : يا بنى السائب ، إنكم قد أضويتم ، (٢) فانكحوا فى النزائع .

● وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .

والعرب تقول : اغتربوا لا تُضْوُوا : أى انكحوا فى الغرائب ، فإن القرائب يُضْوِينَ البنين .

وقالوا : إذا أردت أن يَصْلُب ولدُ المرأة ، فأغضبها ثم قع عليها ؛ وكذلك الفزعة ! .

---

(١) الفَرُوك : الزاهدة فى الرجال ، ولا تحبهن ، والمبغضة لهن .

(٢) الضوى : الهُزال ، ودقة العظم وقلة اللحم ، وأضوى دق وأضعف والمرأة ولدت ولدا ضاويا .

وقال الشاعر :

مِمَّن حملْن وهنّ عواقدٌ حُبُك النِّطاق فشبَّ غير مُهَبَّلِ
حملت به فى ليلة مزءودة كُرها وعَقْد نطاقها لم يُحْلَلِ

قالت أم تأبط شرا :

والله ما حملته تضعا ولا وضعا ، ولا وضعته يتنا ولا أرضعته غيلا ، ولا أنمته مئقا (١) .

ومن أمثال العرب :

أنا مئق ، وأنت تئق ، فمتى نتفق ؟ (٢) .

إبراهيم عليه السلام وهاجر

● تسرى الخليل إبراهيم عليه الصلاة السلام بهاجر ، فولدت له إسماعيل عليه السلام .

محمد عليه الصلاة والسلام ومارية ثم صفية

● وتسرى النبى عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له إبراهيم .

أبى اسحاق وجدى إبراهيم !

● ولما صارت إليه صفية بنت حُيىٍّ ، كان أزواجه يعيرنها باليهودية ، فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت - فصدقت

---

(١) قال فى القاموس المحيط : وضعت المرأة حملها وُضعا ، وتُضعا بضمهما ، وتفتح الأولى ولدته . ووُضْعاً وتُضْعا ، وتُضُعا بضمتين : حملت فى آخر طهرها فى مقبل الحيضة . ووضعته يتْناً أى وضعته منكسا ، تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أى لبنا فاسدا ، وذلك عندما تُرضع وهى حامل . وأنمته مئقا : أى غاضبا مغتاظاً .

(٢) المئق : المغتاظ الباكى والتِّئِق : السريع إلى الشر الغضوب . مما يدل على اختلافهما بحيث لا يتفقان ، وفى النسخة المحققة . نئق : أى الذى لا يحتمل شيئا .

وصُدُّقْتِ - : أبى إسحاق ، وجَدى إبراهيم ، وعمى إسماعيل ، وأخى يوسف .

هشام وزيد بن على :

لا يعلم الغيب إلا الله

● ودخل زيد بن على على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابن أمة ! .

فقال له : أما قولك : إنى أُحدِّث نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله .

وأما قولك : إنى ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صُلْبه خير البشر محمداً ﷺ ، وإسحاق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير ! .

الرغبة فى السرارى [1] :

أبناء الإماء يتفوقون !

● قال الأصمعى : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء ، حتى نشأ منهم علىُّ بنُ الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلما وورعا ، فرغب الناس فى السرارى .

★ ★ ★

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ [المائدة : ٦] .

(٢) السرَارى : جمع سُرِّيَّة . وهى الأمة التى بوَّأتها بيتا منسوبة إلى السر بالكسر للجماع

عبد الملك وابن الحسين فى جارية تزوجها :

لا عار على مسلم !

● وتزوج على بن الحسين جارية له ، وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يؤنبه ، فكتب إليه على : إن الله رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم .

وهذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمته ، وامرأة عبده ! .

فقال عبد الملك : إن عَلِيَّ بن الحسين يَشْرُفُ من حيث يَتضِع الناسُ .

★ ★ ★

أقوال وتجارب :

عجـبى !

● وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟ ولمن أحفى شاربه كيف أعفاه ؟ (١) وعجبا لمن عرف الإماء كيف يقدم على الحرائر .

وقال الشاعر :

أمهات القوم أوعية

لا تشتمن امرءاً فى أن تكون له ... أمٌ من الروم أو سوداء عَجْماءُ
فإنما أمهاتُ القوم أوعيـةٌ ... مستودعاتٌ ، وللأحساب آباءُ (٢)

★ ★ ★

---

(١) أحفى شاربه حلقه .. وأعفاه : تركه .
(٢) ينسب الأبناء إلى الآباء ويفخرون بحسبهم ، أما المرأة فهى مجرد وعاء .

وقالوا :

شتان ما بينهما !

● الأمة تشترى بالعين ، وترد بالعيب ، والحرةُ غُلٌّ [1] فى عنق من صارت إليه !! .

الهجناء [2]

للعرب والفرس :

أسماء ومسميات

العرب تسمى العجمى إذا أسلم : المسلمانى ؛ ومنه يقال : مُسالمة السَّواد .

والهجين عندهم : الذى أبوه عربى ، وأمه أعجمية .

والمذَرَّع : الذى أمه عربية ، وأبوه أعجمى .

وقال الفرزدق :

إذا باهلىٌّ أنجبت حنظليةٌ له ولداً منها ؛ فذاك المذَرَّعُ

والعجمىُّ : النَّصرانى ونحوه ، وإن كان فصيحا .

والأعجمى : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلما .

---

(١) الغل : القيد . والجمع أغلال .

(٢) الهجناء : جمع هجين وهو العربى الذى ولد من أمه . أو من أبوه خير من أمه – القاموس المحيط .

ومنه قيل : زياد الأعجم ؛ وكان فى لسانه لُكْنة .

والفرس تسمى الهجين : دوشن ، والعبد : واشٍ ونجاش ، ومن تزوج أمة : نفاش ، وهو الذى يكون العبد دونه ، وسمى أيضا : بوركان .

والعرب تسمى العبد الذى لا يخدم إلا مادامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكان العرب فى الجاهلية لا تورث الهجين .

وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده [1] ، ولو وجدوا أُماً أَمة على رأس ثلاثين أما ، ما أفلح ولدها عندهم ولا كان آزاد ، ولا كان بيده مزاد . [والآزاد عندهم : الحر ، والمزاد : الريحان] .

★ ★ ★

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

تبغلت لما أن أتيت بلادهم ... وفى أرضنا أنت الهُمامُ القلمسُ [2]
ألست ببغل أمُّهُ عربيـــــة ... أبوه حمـــار أدبر الظهر يُنخسُ [3]

وشبه المذرع بالبغل ؛ إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس ! .

---

(١) أى تطرحه من حسابها ، ولا تعده ممن يتكاثر بهم ويتفاخر .
(٢) القلمس : السيد العظيم . وتبغل : صار بغلا .
(٣) ينخس بالمنخاس لينشط ، والكريم من الحيوانات من ينشط بنفسه .

مما احتج به الهجناء :

سيف أبيك زوجه !

● ومما احتج به الهُجناءُ : أن النبى ﷺ زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود .

وزوج خالدة بنت أبى لهب من عثمان بن أبى العاص الثقفى ؛ وبذلك احتج عبد الله بن جعفر ، إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف ، فعيره الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أبيك زوجه ! والله ما فديت بها إلا خيط رقبتى .

وأخرى أن النبى ﷺ : قد زوج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبى العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

● وزوج أبو سفيان أم الحكم بالطائف فى ثقيف .

● وقال لهذم الكاتب فى عبد الله بن الأهتم ، وسأله فحرمه [1] :

وما بنو الأهتم إلَّا كالرَّحم ... لا شَىء إلا أنهم لحمٌ ودمٌ
جاءت به جُذامٌ مِن أرض العجم ... أهتم سَلَّاح [2] على ظهر القدم
مقابل فى اللؤم من خال وعم

بنو أمية وأولاد الإماء [3] :

● وكانت بنو أمية لا تستخلف بنى الإماء ، وقالوا : لا تصلح لهم العرب .

---

(١) أى لم يعطه .
(٢) السلح من الطائر كالتغوط من الإنسان .
(٣) الإماء : جمع أمة ، وهى الجارية المسترقة .

لايستويان !!

● زياد بن يحيى قال :

حدثنا جبلة بن عبد الملك : قالوا : سابق عبد الملك بن سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكُم أن تحملوا هجناءكـــم ... على خيلكم يوم الرهان فتدرك (١)؟!
وما يستوى المرءان هذا ابن حرة ... وهذا ابن أخرى ظهرها مُتشرك
وتضعف عضداه ، ويقصر سوطه ... وتقصر رجلاه ؛ فلا يتحـرك
وأدركـه خالاتـه فنزعنـــــه ... ألا إن عرق السوءِ لابدَّ يُدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، فقال :

أتدرى من يقول هذا ؟ قال : لا أدرى . قال : يقوله أخوك الشَّنِّىّ .

قال مسلمة : ياأمير المؤمنين ، ما هكذا قال حاتم الطائى . قال عبد الملك : وماذا قال حاتم الطائى ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناها بأسيافنا قسـرا
فما زادها فينا السباءُ مذلةً ... ولا كلفت خبزاً ، ولا طبخت قدراً
ولكن خلطناها بخير نسائنا ... فجات بهم بيضاً وجوههمُ زُهراً
وكائن ترى فينا من ابن سبية ... إذا لقى الأبطال يطعنهم شزراً
ويأخذ رايات الطعان بكفـه ... فيوردها بيضا ، ويصدرها حمرا (٢)
أغرُّ إذا اغبر اللثامُ رأيته ... إذا ما سرى ليل الدجى قمراً بدرا (٣)

---

(١) يلحق بها الأعداء ويدركونها لأن راكبيها ليسوا فرسانا ، فالفروسية وقف على العرب الخُلَّص .

(٢) يوردها ويصدرها .. كانت العرب تورد الإبل على الماء وتسوقها لتشرب ، ثم يصدرونها عائدين بها بعد الورود . ويقصد أنه يحمل الرايات ويقبل بها على المعارك ثم يعود بها ظافرة بعد معارك منتصرة .

(٣) أغر : أبيض يتراءى النور من جبهته إذا ثار غبار المعركة فغطى لثامه ، وكأنما هو القمر فى ظلام الليل .

فقال عبد الملك كالمستحى :

وما شَرُّ الثلاثـــةِ أمَّ عَمرو بصاحبك الذى لاتصبحينا [1]

★ ★ ★

بنو أمية فى أولاد الأمهات :

لماذا ؟!

● قال الأصْمَعىّ : كانت بنو أمية لاتبايع لبنى أمهات الأولاد ؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك .

ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ؛ فلما ولى الناقص ظن الناس أنه الذى يذهب ملك بنى أمية على يديه – وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى – فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووثب مكانه مروان بن محمد – وأمه كردية – فكانت الرواية عليه .

ولم يكن لعبد الملك ابن أسدُّ رأيا ، ولا أذكى عقلا ، ولا أشجع قلبا ، ولا أسمح نفسا ، ولا أسخى كفا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى .

---

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم وقبله :

صَدَدْتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت جذيمة الأبرش ، وذلك لما وجده مالك وعقيل فى البرية وكانا يشربان ، وأم عمرو هذه المذكورة تصد عنه الكأس ، فلما قال هذا الشعر سقياه ، وحملاه إلى خاله جذيمة . ولهما حديث . وهذا البيت من شواهد سيبويه على أن اليمين نصب على الظرفية . كما جاء فى شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى .

شيءٌ عن يحيى بن أبى حفصة :

كان يهوديا فأسلم .

● وكان يحيى بن أبى حفصة أخو مروان بن أبى حفصة يهوديا ، أسلم على يد عثمان بن عفان فكثر ماله ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفا .

ويقول فيه القلاخ :

نبئتُ خولة قالت حين أنكحها : لطالما كنتُ – منك العارَ – أنتظر
أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما فى فيك – ممارجوت – الترابُ والحجر
لله در جيادٍ أنت سائسها برذنتها [1] وبها التحجيل والغُرر

فقال مقاتل يرد عليه :

وما تركت خمسون ألْفاً لقائل عليك – فلا تحفل – مقالة لائم
فإن قلتم زوجت مولى فقد مضت به سنة قبلى وحُبُّ الدراهم

ويقال : إن غيره قال ذلك .

★ ★ ★

---

(١) حولتها إلى براذين بعد أن كانت جيادا كريمة محجلة تبدو غرتها . والبرذون الدابة . والبرذون التركى من الخيل وهو خلاف العراب – المصباح المنير .

الأدعياء

زياد بن عبيد :

أخاف هذا الجالس على المنبر !!

● أول دَعِيٍّ (١) كان فى الإسلام واشتهر زياد بن عبيد ، دعى معاوية ، وكان من قصته أنه : وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كانَ ، فلما قدم وأخبر عمر بالفتح فى أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام فى جماعة الناس على المنبر ؟ .

قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهيب ! .

فأمر عمر بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لزياد : قم فاخطب وقص على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجوَّد ، وعند أصل المنبر علىٌّ بن أبى طالب ، وأبو سفيان بن حرب . فقال أبو سفيان لعلى : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أَمَا إنَّه ابن عمك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفته فى رحم أمه سمية ! قال : فما يمنعك أن تدَّعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر – يعنى عمر – أن يفسد على إهابى . فلما وُلِّىَ معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه ؛ فلما شهد الشهود ، قام زياد على أعقابهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوَّلَه ؛ ولا علم لى بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ ما ضيعوا ؛ فأما عبيد ، فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

---

(١) الدعِىّ : من ينسب إلى غير أبيه ، وكان العرب يتبنون من يرغبون فى إلحاقهم بنسبهم ، فجاء القرآن ، وأبطل التبنى ، وقال : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ .

فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلغ معاوية بن حـــرب فقد ضاقت بما يأتى اليـدانِ
أتغضب أن يُقال : أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال : أبوك زانِ ؟
وأشهد أن قُربكَ من زيادٍ كَقُرْبِ الفيلِ من وَلَد الأتانِ (١)

وقال زياد :

ما هجيتُ ببيت قط أشد على من قول يزيد بن مفرغ الحميرى :

فكر ففى ذاك إن فكرت معتبرُ هل نلتَ مكرمةً إلا بتأمير ؟
عاشـت سمية ما عاشت وماعلمت أن ابنها من قريشٍ فى الجماهير
سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناسُ محتوم المقادير

وكان ولد سمية : زياداً ، وأبا بكرة ، ونافعا ، فكان زياد ينسب فى قريش ، وأبو بكرة فى العرب ، ونافع فى الموالى ؛ فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إن زيـاداً ونـافعـاً وأبـا بكرة عندى من أعجبِ العجب
إن رجـالاً ثلاثـةً خُلِقُـوا من رحم أنثى مخالفى النسـب
ذا قُرشيٌّ فيما يقول ، وذا مولى ، وهذا ابن أمه عربى !

★ ★ ★

● وقال بعض العراقيين فى أبى مسهر الكاتب :

حمارٌ فى الكتابة يدعيهـا كدعـوى آل حـربٍ فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثوبك بالمـداد (٢)

★ ★ ★

---

(١) الأتان : أنثى الحمار .

(٢) المداد : ما يكتب به وقد جاء فى الكتاب العزيز : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾ .

● وقال آخر فى دَعىّ :

لعينٌ يورثُ الأبناءَ لعناً ويلطخُ كل ذى نسبٍ صحيح

★ ★ ★

ياحَرَسِىّ خذ هذا الحجر ..!

● عبد الله بن حجاج :

ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ونصر بن حجاج عند معاوية فى عبد الله بن حجاج – مولى خالد بن الوليد – أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف خز أخضر ، وأمر بحجر فأدنى منه ، وألقى عليه طرف المطرف ، ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس ، فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أبى ، عهد إلى أنه منه .

وقال عبد الرحمن : مولاى وابن عبد أبى وأمته ، ولد على فراشه . فقال معاوية : ياحرسىّ ، خذ هذا الحجر – وكشف عنه – فادفعه إلى نصر بن حجاج . وقال : يانصر ، هذا مالك فى حكم رسول الله ﷺ ؛ فإنه قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم فى زياد يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك حكم معاوية ، وهذا حكم رسول الله ﷺ .

● وليس فى الأرض أحمس من الأدعياء لتستحق بذلك العربية .

قال الشاعر :

دعِىٌّ واحدٌ أجدى عَلَيْهم من ألْفى عالم مثلِ ابن دَاب

ككلب السُّوء يَحرسُ جَانبيه وليس عدوُّه غير الكلاب

---

(١) ينسب إلى من ولد على فراشه ، أما العاهرة فلها الحجر والرجم .

من طباع العرب

للأصمعى فى دعى :

● وقال الأصمعى : استمشى رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فوجد عنده شيحا وقيصوما ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : — ورفع صوته — الطبيعة تتوق إليه ! يريد أن طبيعته من طباع العرب ؛ فقال فيه الشاعر :

يَشَمُّ الشيحَ والقيصو مَ كى يستوجب النّسَبَا [1]

وليس ضميُره فى الصد ر إلا التين والعنبا

أبو سعيد المخزومى :

دعىّ على دعىّ

● وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيت على أبى سعيد الشاعر المخزومى كردوانيا مصبوغا بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خز ؟ قال : لا ، ولكنه دعى على دعى ، وكان أبو سعيد دعيا فى بنى مخزوم ، وفيه قال الشاعر :

متى تاه [2] على الناس شريف يا أبا سعد

فته ما شئت إذا كنت بلا أب ولا جد

وإذا حظك فى النسبة بين الحر والعبد

وإذا فارقك الفُحش ففى أمن من الحد

---

(١) الشيح والقيصوم والعَرارُ : من النباتات التى كان العربى يتوق إلى شمها . ويتمتع بجمال منظرها حين تطل عليه بمرآها الجميل فيما حوله من صحراء ، وهو يحاكيهم ليقال هو منهم .

(٢) تاه : اختال ، وفخر ، وزها .

تزوج ابن عبد العزيز فى عبد القيس :

تعيبون أمرا ظاهراً فى بناتكم !!

● وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلت فى دار رجل من بنى عبد القيس بالبحرين ، فقال لى : بلغنى أنك خاطب ؟ قلت نعم . قال : فأنا أزوجك .

قلت له : إنى مولى . قال : اسكت وأنا أفعل ! فقال أبو بجير فيهم :

أمن قلةٍ صرتُم إلى أن قبلتُم ... دعاوةَ زراع وآخر تاجر
وأصهبَ رومىٍّ ، وأسودَ فاحمٍ ... وأبيض جعدٍ من سراة الأحامِرِ
شكولُهم شتى وكلٌّ نسيبكُم ... لقد جئتم فى الناس إحدى المناكر
متى قال : إنى منكمُ فمصدقٌ ... وإن كان زنجياً غليظ المشافر (١)
أكلُّهم وافى النساءَ جدوده ... وكلهم أوفى بصدق المعاذر ؟
وكلُّهم قد كان فى أولية ... له نسبة معروفة فى العشائر
على علمكم أن سوف ينكح فيكم ... فجدعا ورغما للأنوف الصواغر (٢)
فهلا أبيتم عفة وتكرما ... وهلا وجلتم من مقالة شاعر ؟ (٣)
تعيبون أمرا ظاهرا فى بناتكم ... وفخركم قد جار كل مفاخر
متى شاء منكم مغرم كان جده ... عمارة عبس خير تلك العمائر
وحصنُ بن بدر أو زراةُ دارم ... وزبانُ زبان الرئيس ابن جابر
فقد صرت لا أدرى وإن كنت ناسياً ... لعل نجاراً من هلال بن عامر
وعلَّ رجالَ الترك من آل مذحج ... وعل تميماً عصبة من يُحابر
وعلَّ رجالَ العجم من آل عالج ... وعلَّ البوادى جُدِّلت بالحواضر
زعمتم بأن الهند أولاد خندف ... وبينكم قربى وبين البرابر

---

(١) المشافر والأشفار الشفتان .
(٢) جدعا : قطعا وفى المثل : « لأمرٍ مَّا جدع قصير أنفه » ! .
(٣) وجلتم : خفتم .

وذَيْلم من نسلِ ابن ضبةَ باسلٍ وبُرجانَ من أولاد عمرو بن عامر
بنو الأصفرِ الأملاكُ أكرمُ منكم وأولى بقريانا ملوك الأكاسر (١)
أأطمع فى صهرى دعيا مجاهرا ولم نر شرّاً فى دعى مُجاهر
ويشتم لؤما عرضه وعشيره ويمدح جهلا طاهراً وابن طاهر

★ ★ ★

● وقال زرارة بن ثروان أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر :

اختلط الأسافل بالأعالى !

قد اختلط الأسافل بالأعالى وباح الناس واختلط النجار (٢)
وصار العبد مثل أبى قبيس وسيق مع المعلهجة (٣) العشار

جعفر بن سليمان وولده أحمد :

ثم تريد أن ينجبن !!

● وذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده ، وأنهم ليسوا كما يحب ، فقال له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز ، فأوعيت فيهم نطفك ، ثم تريد أن ينجبن ؟! ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها ؟! .

★ ★ ★

---

(١) الأكاسر : ملوك الفرس وواحدها : كسرى .
(٢) النَّجَار : الأصل .
(٣) المعلْهجة : الهجين .

الأشعث وعلى :

من هذه يا أمير المؤمنين ؟!

● ودخل الأشعث بن قيس على علىّ بن أبى طالب ، فوجد بين يديه صبية تدرج ، فقال : من هذه ياأمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين ! قال : اغرب [1] بفيك الكِثكِث ولك الأثلب [2] ! أغرك ابن أبى قحافة حين زوجك أم فروة ؟ .

إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم . فقال : قد زوجتم أخمل منى حَسبا ، وأوضع منى نسبا : المقداد بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال على : ذلك رسول الله ﷺ فعله ، وهو أعلم بما فعل ؛ ولئن عدت إلى مثلها لأسوءنَّك ! .

● وفى هذا المعنى قال الكميت بن زيد :

وما وجدت بنات بنى نزار حلائل أسودين وأحمرينا
وما حملوا الحمير على عتاق [3] مطهمة فيلفوا مبغلينا
بنى الأعمام أنكحنا الأيامى وبالآباء سمينا البنينا

الهيثم بن عدى :

إذا نسبت عديا .. ؟!

● عن العتبى قال : وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعياً ، فقال فيه الشاعر :

---

(١) اغرب : ابعد عنى . ورجل كَثُّ اللحية وكثيثها . كثف شعر لحيته .
(٢) الأثلب : ويُكسر ، التراب والحجارة ، أو فتاتها . كناية عن رده ردا قبيحا فليس له عنده إلا أن يحثو فى وجهه التراب .
(٣) العتاق : كرام الخيل .

الهيثم بن عدى من تنقله ... فى كل يوم له رحلٌ على حسب
إذا اجتدى[1] معشراً من فضل نسبتهم ... فلم ينيلوه عداهم إلى نسب
فما يزال له حلٌّ ومرتحـــل ... إلى النصارى وأحيانا إلى العرب
إذا نسبت عديا فى بنى ثُعَـــل ... فقدم الدال قبل العين فى النسب[2]

★ ★ ★

● وقال بشار القصيلى :

عربى من زجاج

إن عمراً ، فاعرفوه ... عربى من زُجـــاج
مظلم النسبة لايعـــ ... ـرف إلا بالســـراج

● وقال فيه :

عربى من قوارير

ارفق بنسبة عمر ، حين تنسبه ... فإنه عربى من قواريـر
مازال فى كير حداد يردده ... حتى بدا عربيا مظلم النور

● وقال أيضا فى أدعياء :

زائف الحسب

● هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا ... يدخل بعد العشاء فى العرب
والناسُ قد أصبحوا صيارفةً ... أعلم شـــيءٍ بزائـف الحســب

---

(١) اجتدى : سأل .
(٢) إذا قدمنا الدال قبل العين فى (عدى) يصبح (دعيًا) .

● وقال أبو نُواس فى أشجع بن عمرو :

قل لمن يدعى سُليمى سفاها　　لست منها ولا قلامة ظفـر (١)

إنما أنت من سليمى كواو　　ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

● وقال فيه :

أيـا متـحيراً فيـــه　　لمن يتعجب العجـب
لأسماءٍ تَعَلَّمَهُـــــنَّ　　أشـــجع حين ينتســـب

ولأحمد بن الحارث الخراز فى حبيب الطائى :

لو أنك إذا جعلت أباك أوساً　　جعلت الجد حارثة بن لَامِ
وسميت التى ولدتك سعُدَى　　فكنت مقابلا بين الكـــرام

● وله فيه :

أنت عنـدى عربىٌّ　　ليس فى ذاك كـــلام
شعر فخذيك وســـاقيـ　　ـــك خُزَامى وثُمام (١)
وضلـــوع الصـــدر من　　جســـمك نبع وبشام (٢)
وقذى عينيك صمـــغ　　ونواصيـــك ثَغَام (٣)
لو تحركت كذا لا　　نْجَفلت منـك نعـام

★ ★ ★

---

(١) قُلامة ظفر ، ما يقلم من الأظافر وذلك كناية عن الشىء الصغير الحقير . والمراد أنه ليس بها أدنى اتصال .

(٢) وواو عمرو ليست من بنية الكلمة ، وإنما أخذوها من داود ، ولذا نراه بواو واحدة كما يقال .

(٣) من نبات الصحراء .

(٤) النبع : شجر للقِسىِّ وللسهام ، والبَشَام شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويُستاك بقُضبُه .

(٥) والثغام نبات أبيض ، وأثغم الرأس صار كالثغامة بياضا .